المجلة الدولية للعلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية
International Journal of Legal, Economic, and Social sciences
Doi : https://doi.org/10.63585/JQYZ7139
Volume 2 Issue 10
N:12 Octobre 2026
ISSN : 3119-6411

مفارقات الفكر السوسيولوجي الكولونيالي:نموذج شارل لوكور و لوي برونو

Paradoxes of colonial sociological :the case of Charles le Coeur and louis Brunot

الدكتور محمد المرجان
أستاذ و باحث في علم الاجتماع ،جامعة ابن طفيل (سابقا)
رئيس الجمعية المغربية لعلم الاجتماع الرباط المغرب

ملخص:
في إطار الحرص على مواصلة المشروع العلمي التفكيكي للإنتاج السوسيولوجي الكولونيالي ،و ضبط بعض المتغيرات ،و التناقضات ،و الاستثناءات التي حددت مسار هذا الإنتاج في المرحلة التاريخية المعروفة .حاولنا العمل على تحليل نموذجين فرنسيين بارزين على مستوى الفكر السوسيولوجي :و هما شارل لوكور و لوي برونو ،لم ينتبه لهما العديد من الدارسين المغاربة ،على الرغم من أهمية مساهمتهما في تحليل قضايا مهمة و ذات حساسية كبيرة بالنسبة للمجتمع المغربي .
الكلمات المفتاح :الموضوعية ،الشعائر و الطقوس ،ا الكثافة الأخلاقية ،لعقلية المغربية ، اللهجات المغربية ،المعيش اليومي ،القاعدة .

Abstract
In order to continue the scientific project of deconstructing colonial sociological production ,and to identify some of the variables ,paradoxes and exceptions that have determined the historical course of this production ,we have tried to work on reading two models :Charles le Coeur and Louis Brunot ,which many Moroccan scholars have not paid attention to ,despite the importance of their contribution to analyzing important and highly sensitive sociological issues for Moroccan society .

"إن السوسيولوجيا المنزوعة تماما من أي معنى لتاريخها الخاص ،تحرم علماءها من كل العطاء والنتائج و المفاهيم التي توصل لها نظرائهم سابقا.و بالتالي فهي سوسيولوجيا لا تملك أي فكرة عن مكتسباتها."

تقديم:

ليس الغرض من إعادة التفكير في الأدبيات السوسيولوجية الاستعمارية ،العمل على إحياءها أو تجديد صلاتها بواقعنا الاجتماعي و السياسي و الثقافي ،و لا العمل على استلهام طروحاتها فيما يتعلق بهذا الواقع. و إنما السعي إلى مواصلة المشروع النقدي التفكيكي الهادئ ،الذي يمكننا من امتلاك الأدوات المعرفية و التحليلية و المنهجية الجديدة لإبراز تناقضات الفكر الاستعماري ،و مدى تأثيره الواضح أو الخفي على طريقة فهمنا و إدراكنا لواقعنا الحالي.

إشكالية البحث :

لقد ظل سؤالنا حول طبيعة السوسيولوجيا الكولونيالية ،محدودا جدا ،و لم يتجاوز في معظمه الانتقادات الموجهة لأطروحات معينة ارتبطت في الغالب بوجوه معروفة كميشو بلير و روبير مونطاني وإدموند دوتي ،و قد صنفوا جميعهم ، بحماس قل نظيره ،في إطار الرفض التام ، لكونهم يمثلون جزءا واضحا من المعرفة الكولونيالية.

مع العلم ،أن المؤرخين و السوسيولوجيين الاستعماريين ،لم تكن لهم نفس المقاربات ،حتى و لو كانوا يتطورون داخل نفس الحقل الثقافي –كما يعتقد بيير بورديو-. زيادة على ذلك ، أن الإجماع السياسي للمثقفين الاستعماريين حول مجموعة من القضايا ،لم يمنع وجود بعض المناطق المستثناة أو المهمشة بالنسبة لهذا الإجماع.

و على العموم ، مسحة الاستعجال التي طبعت الممارسة النقدية تجاه هذه المعرفة ،لم تفسح المجال لتصفية هذا الإرث بشكل جدلي و عقلاني ،و من ثم محاولة الكشف عن المنطق الثاوي خلف "خطابها العلمي"الذي تدعي من خلاله إدراك طبيعتنا ولغاتنا ،و سلوكنا و "عقليتنا".

لا ينكر أي ملاحظ ، أن التغيرات الحاصلة اليوم في مجتمعنا ،تجعلنا بعيدين جدا عن الفترة الاستعمارية ،فهل نحن كذلك بالنسبة لمفاهيم السيطرة و الاستغلال و التحكم ،التي طبعت و لا زالت تطبع، علاقاتنا مع هذه القوى أو من يقوم مقامها؟هل النظريات المنتجة في حقل العلوم الاجتماعية أصبحت الآن متجردة تماما من أي استغلال أو تشويه لغيرها من المجتمعات؟ألا يمكن العثور على بعض القضايا التي استأثرت باهتمام الباحثين الاستعماريين ،قائمة و مستمرة ،بشكل من الأشكال ،لدى الباحثين المعاصرين ؟

هذه التساؤلات تبرر اهتمامنا بصفحات شبه منسية من بعض الكتابات التي يصعب تصنيفها بسهولة في خانة "الفكر الاستعماري".و تعتبر في تقديرنا مناسبة لتجديد عملية الحفر المعرفي في خطاب سوسيولوجي ؛يدعي براءته من هذا الفكر و من مشروعه الإيديولوجي.في هذا السياق، ارتأينا تقديم نموذجين لسوسيولوجيين فرنسيين ،رسما بعض من معالم المجتمع المغربي خلال الفترة الاستعمارية .

و هما شارل لوكور و لوي برونو. Charles Le Cœur et Louis Brunot

1-شارل لوكور:الموضوعية المريبة.

إذا كانت السوسيولوجية الرسمية ممثلة في الوجوه التي أشرنا لها،فإن السوسيولوجيا الأكاديمية يمثلها باستحقاق كبير شارل لوكور .حيث شكل هذا الباحث ،استثناء حقيقيا ،في مسار التحليل السوسيولوجي في تلك الفترة .

ولد شارل لوكور بمدينة باريس سنة 1903من أب ذو مكانة اجتماعية و مهنية مرموقة.أما جده من أمه Jules steeg,(1836-1898)فقد تقلد العديد من المناصب في الحقل التعليمي آخرها مفتش الدراسات بالمدرسة العليا.بينما عمه الآخر Theodor steeg هو من سيتولى منصب المقيم العام بالمغرب ما بين 1921-1925أي فترة المواجهة الفرنسية لثورة بن عبد الكريم الخطابي.

بعد حصول شارل لوكور على الإجازة في التاريخ و الجغرافية ،سيلتحق بالمدرسة العليا ،ليرتبط بصداقات مع كل من ريمون آرون و جابرييل جرمان.ونظرا لشغفه بأفكار إميل دوركهايم و ليفي برول حول "الدين البدائي"سيعمل على إنجاز أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا ،تحت إشراف مارسيل موس ،الذي كان أنذاك يترأس كرسي متخصص في "ديانات الشعوب غير متحضرة" (كذا).لذلك استطاع الجمع بين تخصصين السوسيولوجيا و الإثنولوجيا.امتدت فترة إقامته بالمغرب إلى حدود 16 سنة ،أي من سنة 1928 إلى 1944.اشتغل خلالها بالبحث و التدريس بمدينة الرباط ،حيث عمل أستاذا للآداب بمدرسة مولاي يوسف،كما عمل أستاذا لإثنولوجيا المغرب بمعهد الدراسات العليا المغربية Institut des hautes études Marocaines.و التي كانت تقوم بتكوين المعلمين و المعلمات جلهم فرنسيين.أشرف على بحوث ميدانية سنة 1930حول مدينة أزمور،و كذلك حول منطقة Tédaبالتشاد،كما ناقش أطروحة الدكتوراة قبل الاجتياح الألماني لفرنسا سنة 1940.انضم بعد ذلك للقوات الفرنسية الحرة في نهاية 1943، وتوفي في يوليوز سنة 1944،حينما كان يقود فيلق الرماة المغاربة في إيطاليا.

لقد ورث هذا الباحث ثقافة ليبرالية غنية، أهلته لرفض كل الأنساق الجاهزة التي تفسر الإنسان بعقلانية وسط مناخ قدري.و لذا، اعتبر أن مهمة السوسيولوجيا هي تفسير الفلسفة بالتاريخ و التاريخ بالفلسفة.هذا السوسيولوجي الذي تتلمذ و لمدة سنة كاملة على الأنتربولوجي مالينوفسكي بجامعة لندن،و تأثر بشكل كبير بأستاذه مارسيل موس ،لم يكن بوسعه ،إلا أن يتوجه في

اهتماماته العلمية إلى اختيار دراسة الحضارات البدائية.فهل كان بإمكانه العمل على تحقيق دراسات علمية لواقع يرزح تحت نير استعماري ،هو بذاته جزء منه؟ الظاهر، أن الرجل لم يكتفي بالملاحظة العلمية للتأثيرات الاستعمارية على المغرب،و لكنه دعم المشروع الاستعماري ،و في نفس الوقت ،أبدى معارضته الشديدة للعنصرية التي ترافقه.لقد حاول الباحث ردم الهوة الثقافية الفاصلة بين الأعراق ،و سعى لتنمية و تطوير التفاهم المتبادل بين الشعوب.و في هذا الصدد، قام بتجربة سوسيواثنوغرافية مهمة ،حيث شجع طلبته من الفرنسيين و المغاربة لكتابة نصوص إثنوغرافية حول بعضهم البعض.محاولا من خلال ذلك ،القيام بجرد فكري للمواقف المسبقة و أحكام القيمة التي تختلط أحيانا بالتقاليد الراسخة.219

أما كتابه المهم جدا ،و المعروف على أوسع نطاق ، بعنوان "الشعيرة و الأداة"فقد حاول من خلاله الاشتغال على ثلاثة مواضع رئيسية:توضيح معنى السوسيولوجيا الموضوعية-إبراز أهمية العقلانية الاقتصادية-التعدد الخلاق.

بالنسبة للنقطة الأولى،دافع الباحث عن موضوعية السوسيولوجيا التي ينبغي ان تتحقق في تجاوز المادية التاريخية والمدرسة الدوركهايمية ،و علل هذا الحكم في كونهما «يحبسان الإنسان في قوانين فولاذية، وحتميات كابحة للحريات الفردية".220

و على الرغم من إقراره بالتأثير الواضح للاتجاه الدوركهايمي ،على استعمال السوسيولوجيا في المغرب «و هو اتجاه –في تقديره-عبر منذ البداية عن رغبة الكشف و الاطلاع ،و السعي الدؤوب من خلال تفاعله مع الحضارة الأوروبية ،لتحقيق الحداثة و التطور.:"

و هو ما يوضحه فيما يلي :"أظن أن كلمة سوسيولوجيا قد استعملت في معناها الدوركهايمي ،أي كعلم يسمح بفهم و كشف المناطق الغامضة في الروح الإنسانية ،و بصفة خاصة ،في الروح المغربية ،كما يساهم في خلق عادات ذهنية مشجعة للتواصل الذكي بين الحضارتين(المغربية و الفرنسية) ."221

و من منطلق تعريفه الموضوعي بوظيفة السوسيولوجيا بالمغرب ،انتقد لوكور بشدة السوسيولوجيا العفوية التي تجعل الإنسان الأوروبي يستهزأ من صلاة المغاربة و كيفية تأديتها،منها أن عقل المغاربة يتجاوز بكثير هذه النظرة السطحية للأوروبي في الممارسات الشعائرية للمغاربة ، خاصة عندما يتم الجمع أثناء أدائها بين العقلانية و الدين .وهكذا يقدم مثالا واضحا لهذه الفكرة :"يتجلى -حسبه-في طبيعة الشعائر التي يحترمونها ، كعملية صب الماء على القبور بعد دفن الميت ، مدعين أن ذلك يوطد التربة و يثبتها (لكي تبقى الجثة مستورة)و بذلك تصبح الفائدة مزدوجة تجمع بين التفكير العقلاني و الأسلمة."222

علاوة على ذلك، ابتعدت كتاباته السوسيولوجية ، عن التأثيرات التي مارستها المعرفة الكولونيالية المرتبطة بالتصورات الدوركهايمية ،كما تغلبت قناعته الاشتراكية ،على الميول الاستعمارية لمعاصريه.و استطاع البحث السوسيولوجي الارتقاء إلى قدر من الموضوعية النسبية ،التي لايمكن نكران أهميتها.و هو ما يؤكده بقوله :"ما هو دور السوسيولوجي في الصراعات الحضارية؟هذا السؤال يعتبرفرصة لاختبار الضمير...لقد أتيت إلى المغرب من أجل ممارسة السوسيولوجيا،و على وجه التحديد ،السوسيولوجيا العلمية :و ليس من أجل جمع المعلومات لصالح حزب أو حكومة معينة...و لكن من أجل العثور على الحقيقة .غير أنه للقيام بهذه البحوث...أصبحت مغربيا.لأنه من الصعب عليا أن أظل غير مبال بمآسي أولئك المستجوبين...فهل يمكن اعتبار معرفة الحقيقة الاجتماعية نافعة ؟223

219 Alice L.Conklin :De la sociologie objective à l'Action ,Charles Le Cœur et l'utopisme coloniale, in (Ethnologues en situation coloniale, Ibid. P44

220 Charles le cœur :Le rite et l'outil ,essaie sur le rationalisme social et la pluralité des civilisations, librairie F ,Pleau,Paris ,1939,P ;11

221 Charles Le Cœur : L'enseignement de la sociologie Marocaine, 2congrés de la Fédérations des sociétés savants de L'Afrique du Nord, Alger, 1936, P168

222 Ibid P.186

223 Cristine Lauriére,André Mary :Ethnologues en situation coloniales,les carnets de Bérose,N11,Paris –Bérose ,P45-79

أما الوظيفة الأساسية لعلم الاجتماع المغربي، فهدفها الأسمى حسب شارل لوكور"هو أن يدرك الأجنبي كل ما هو من حيث التعريف لا يدركه إلا المغاربة".224

و بالتالي تتغلب المعرفة الموضوعية و تزداد قيمتها العلمية ،حينما تتأسس بشكل صحيح و تسهم في العمل من أجل "فعل شامل"مرغوب فيه موضوعيا و مستجيب للوقائع الاجتماعية الملاحظة موضوعيا.

و الحقيقة انه لا يمكننا إغفال الجانب الاستراتيجي لديه ،و القائم على ترسيخ الموضوعية كوسيلة للجمع بين القوى المتعارضة ،و في الوقت نفسه،كمحاولة للتدبير الموفق لهذه التناقضات .و هذا بالضبط ما يؤكده المرحوم عبد الكبير خطيبي "هذه الطريقة المتناقضة تتجلى في تأكيده على التناقض الكبير بين الكيفية التي يرى فيها الناس أنفسهم و بين الكيفية التي يظهرون فيها للغير .و أيضا في التناقض بين الطقوس الدينية و بين التقنية و العقلانية .225

من المؤكد،أن مفهوم الموضوعية لدى لوكور يقوم على أساس الإشارة للتعارض القائم بين "علمية" النظريات الاستنباطية المؤسسة بمعزل عن التجربة و اختبار الوقائع ،و بين الموقف العلمي الذي يفرض الخضوع للوقائع ،و ضرورة فهمها كل على حدة "بدون محو لخصوصيتها المتفردة ".

وذلك بالضبط ،ما يفسر قوله ، بأن البحث السوسيولوجي ينبغي أن ينطلق من داخل المجتمع و ليس من خارجه.لذا حاول التأكيد على المقاربة النقدية للمجتمع الصناعي في عملية انتهاجه و ممارساته الخاصة ببناء تصوراته تجاه المجتمعات المغايرة.

و لدعم موقفه النقدي ،لم يتوانى في رفض المنهج الوصفي المميز للكتابات الإثنوغرافية العسكرية ."لا ينبغي الاكتفاء في عملية البحث ،بالتوصيف و التسجيل فحسب،بل لا بد من التفسير و التوضيح ،مثل ما يقوم به العالم في شرح حقيقة اختراع معين،أو ما يصنعه التكنولوجي في شرح فاعلية آلاته."226

الانطلاق من داخل المجتمع، و ليس من خارجه،و عدم الارتكان للوصف وحده ،يشكلان أرضية حقيقية للبحث العلمي . و هو تصور يمثل تقدما ملحوظا ،بالنسبة لباقي التصورات المعاصرة له .

وللمزيد من التوضيح ، تتحدد الموضوعية في البحث السوسيولوجي ، حسب شارل لوكور، بعاملين :

1- لا تتوقف الموضوعية في حدود التجرد الكامل عن الموضوع ،و لكن تتجاوز ذلك نحو تمثل الذات كما يراها الآخر.و هو ما يشرحه في قوله:"لا يتعلق الأمر ببذل مجهود لوضع نفسي مكان طلبتي ، حتى أعلمهم كيف يدركون حقيقة أفكارهم ...لكن الأمر يرتبط بي شخصيا ...لقد أصبحت" أنا الأهلي "je suis l'indigène.فهل سأعثر داخلي على هذا البعد المتعدد و المترفع الذي طالما أعجبت به لدى الآخرين.؟227مثل هذه الديناميكية المعرفية المتنقلة بين "الداخل" و "الخارج" و المرتبطة بمقتضيات التجربة التي تعيشها الذات عندما تحاول تصور "الآخر" دون أي ادعاء بالتعالي أو امتياز مهين ،و هو ما يبتعد نسبيا -في تقديري-عن باقي مواقف الهيمنة و الاستعباد التي انتجت في السياق المؤسسي الرسمي للدولة الاستعمارية .

2-عدم اختزال صعوبة الواقع و تعقده ،بذريعة الطموح لجعل السوسيولوجيا في خدمة أخلاق إبداعية أو سياسة مؤسسة علميا. مما دفعه لطرح تساؤل يلامس العديد من قضايا المعرفة السوسيولوجية:"كيف يمكن للوقائع المعقدة على مستوى الممارسة ،أن تصبح على مستوى النظرية سهلة و قابلة للفهم ؟"228

ربما في معرض الجواب عن هذا الإشكال يحاول التدقيق أكثر في الشروط الخاصة "بالموضوعية"كفاية للبحث السوسيولوجي .و لذا ،يستطرد في شرحها معللا أهميتها الإبستمولوجية: "من الضروري العمل على الفصل بين النظريات الاستنباطية و المؤسسة

Ibid,P.48224

225 عبد الكبير خطيبي :مراحل السوسيولوجيا بالمغرب ،1912-1967،الحوليات المغربية لعلم الاجتماع ،معهد العلوم الاجتماعية -الربا 1970 ص 9

226 Charles Le cœur :L'enseignement de la sociologie Marocaine,2 congrés de la federation des societés savants de L'Afrique du Nord,alger,19 36,P.176

227 Alice L.Conkline :de la sociologie objective à l'action ,Charles le Cœur et l'utopisme coloniale, in Ethnologues en situation coloniale,2019,P57

228 Charle Le Cœur :Le rite et l'outil :essai sur le rationalisme social et la pluralité des civilisations, introduction de George Balandier, P.U.F,Paris,1969,PVII

خارج التجربة المعاشة ،و بين الموقف العلمي ،الذي يفرض الخضوع للوقائع و إلزامية فهمها بشكل عام، دون محو لخصوصيات عناصرها المتفردة ."229

مما لا شك فيه ،أن لهذا التصور المتقدم جدا لمفهوم الموضوعية و التجرد النسبي للذات الأوربية المتعالية تجاه ظواهر المجتمع المحتل ،و محاولة الارتباط بمستوى معين من "علمية " السوسيولوجيا في تفسير العادات و التقاليد الخاصة بمجتمعنا ،أهمية لا يمكن نكرانها .

- **العمق الثقافي أو "الهابيتوس" كأداة للتمييز الاجتماعي:**

النقطة الثانية ،تبدو أكثر تلخيصا لموقفه العلمي اتجاه التشكيلات السوسيو-اقتصادية.فمن خلال عمله المونوغرافي حول أزمور،اقترح تصنيف النشاط الاقتصادي في هذه المنطقة إلى خمسة نماذج.

1-الاقتصاد الطبيعي،2-اقتصاد الهدايا 3-الاقتصاد المركنتيلي 4-الاقتصاد التنشيئي للوظيفة العمومية،5-اقتصاد فئات صاعدة.و بصرف النظر عن النقاش الممكن حول جدوى هذا التصنيف السوسيوغرافي للنماذج الاقتصادية ،فإن الفكرة الرئيسية لديه تتمحور حول نقد المأزق التطوري الذي يجعل الإنسان قابل للتكيف في كل مكان و زمان مع أحواله...بينما يعارض شارل لوكورهذا الطرح ،مؤكدا بأنه يتميز أيضا برفضه التكيف مع الواقع.خاصة ،إذا كان هذا الأخير يتجاوز مكوناته الحضارية و الثقافية.و لذلك اعتبر أن محاولة فرض الأنماط الاقتصادية المتباينة على الخصوصية الثقافية للمجتمعات (المحتلة)،محكوم عليها بالفشل ."إن إخفاق العقلية الاقتصادية (خاصة الاقتصاد الأجري) ناتجة عن عدم تقدير الأعمال الحضارية و الطقوسية للمجتمعات.."230و الحقيقة ،أن ما لا يدركه الأوروبيون هو انتفاء الحدود الفاصلة بين الاقتصاد و الحياة العاطفية للمغاربة.فكل ما يتعلق بتنظيم الحاجيات الاقتصادية ،و الطرق الخاصة بتدبيرها و تداولها بين الناس خاضعة في الأساس لأنماط سلوكية و عاطفية و ثقافية.

لم يستعمل الباحث الفرنسي في الحقيقة مفهوم "الهابيتوس" بشكل واضح ،كما تبلور فيما بعد لدى بيير بورديو.و لكنه ورد لديه في سياق التحليل الذي قدمه بالنسبة لمفهوم الطبقة و مكوناتها.

وفي هذا السياق ،قدم قراءة سوسيولوجية في الوضع الطبقي و التراتب الاجتماعي في مدينة أزمور ."تتميز البورجوازية على العموم في هذا البلد،بالاقتصاد النقدي و العمل الذهني ،أما البروليتاريا الفلاحية فتتميز بالاقتصاد الطبيعي و العمل اليدوي.إنهما المحوران الأساسيان للحياة الاجتماعية،لكن تعارضهما ليس اقتصاديا فحسب،بل يشمل –بصرف النظر عن اعتبارات المهنة و الدخل-اختلافات الملبس و المأكل و السكن ،و الأثاث ،و اللغة، و الحياة العامة ،و الحياة الأسرية، و الأشكال المتعددة للتفكير، و الإحساس."231يتوافق هذا التصور مع تحليل بيير بورديو بخصوص مسألة "التمييز" La distinction،أوالتباين الطبقي، القائم في رؤيته ،على الجمع بين أمرين: التحليل الأخلاقي و الملاحظة الاجتماعية.و لذلك يشير لوكور-على غرار بيير بورديو- إلى المظاهر الرمزية و الثقافية المتعلقة باللباس و الديكور و الحياة الاجتماعية ،كعناصر جد مهمة في البناء الطبقي .

"التقاليد و العادات لدى البورجوازية هي أكثر تجهيزا و دقة و تهذيبا ،إن لم تكن أكثر تحديدا ،و بالتالي أكثر إدراكا ووعيا من التقاليد الشعبية.فالبورجوازي الذي يعيش غالبا في منزله يتعرض لتدجين (تربية)إنساني أكثر تطورا من الفئات الشعبية .(لأنها تقضي معظم الوقت خارج المنزل)."232

و من أجل شرح هذه الفكرة الخاصة بالوضع الطبقي ،يستدل على ذلك، بإبراز الجانب السلوكي المتناقض أحيانا مع طابع الاقتصاد المعقلن:"يقتضي التبرجز في المدينة، و بصورة مباشرة ،حصول الترف و الدعة،لكن في حالة الكوارث أو الأزمات ،يصعب

229Charle Le Cœur :ibid .P VIII

230 Charle Le Cœur :Ibid P.303

231 Charles Le Cœur :Métiers et classe sociales d'Azemmour,Revue africaine,Vol.79,1936,P952

232 Charles Le Cœur :ibid.P.952

على البورجوازي الحفاظ على مكانته،أو التنازل عنها، أو مد يده للغير(لعفة النفس و الكبرياء الاجتماعي ،و هما عنصران يرتبطان بالموانع النفسية التي تقاوم الانحدار الاجتماعي)مما يعني ، في حالة الحرمان المفاجئ ،موته إما جوعا أو كمدا".233

و بصورة واضحة ، يدافع الباحث عن ضرورة الربط بين الاقتصاد و النمط الحضاري الخاص بالمجتمع ،و ما يشمله من ثقافة ،و تفكير، و اعتقاد، و أساليب الحياة الجماعية و الفردية.فالتصنيف الطبقي في الخطاطة الماركسية ،يبدو سهلا، لكونه يتغاضى عن الفروق السيكولوجية الدقيقة داخل نفس الطبقة."ينبغي أن نضيف أن طريقة العيش البورجوازية أو الشعبية ،تشمل أيضا جانبا سيكولوجيا ،لكون مؤشر العمر و الجنس و المستوى التعليمي و الأخلاقي ،كل ذلك يدخل فروقا دقيقة داخل نفس العائلة."234

و على هذا الأساس ،لا يكتفي الباحث بإبراز التمايز العميق بين الطبقتين (البورجوازية و الشعبية)بل يكشف عن وجود مجموعات فرعية دقيقة تقع بينهما ،كالملاكين المترفين ساكني القرى،و داخل البروليتاريا الفلاحية يكشف عن فئة الخماسة بفرعيها :"الجناينيا"و "الخماسة العازبين". ويشير في المدينة لفقراءها بمختلف أصنافهم و فروعهم .

لكنه يتجاهل مبدأ الصراع الاجتماعي الذي يحكم هاته الطبقات ،منتصرا لتآلفها و تداخلها انطلاقا من التمازج الخاص للثقافة الإسلامية بالثقافة الفرنسية."تتلاقى أعراف الأخوة الإسلامية مع تقاليد المساواة الفرنسية ،لتسهيل التداخل بين الطبقات.ففي المدرسة أو غيرها من التجمعات العلمية ،رغم بؤسها،لا نعثر فقط على ابناء التجار المترفين أو أبناء الخياطين ،و لكن أيضا على أبناء المزارعين و البنائين و أبناء الخماسة و الرباعة ...الخ"235و لكن كيف نتمكن من تجميل الحضارة الإسلامية و الحضارة الفرنسية معا؟

ينحصر الجواب في وظائف المدرسة الحديثة ،التي تحتضن وفق تصور الباحث، المفارقات الاجتماعية، و محاولة تذويبها ،مع سعيها المعلن لتحقيق اكبر قدر من المساواة بين فاعليها.و بالتالي المساهمة في تطوير أوضاع الطلاب نحو الأحسن ،و ليس العمل على إعادة إنتاج انتماءاتهم الاجتماعية و الأسرية و المهنية.و كأن هذه اللغة تبتعد تقريبا عن أطروحة إعادة الإنتاج الاجتماعي التي سيدافع عنها بيير بورديو في أيامه .

لكنه سرعان ما يستعيد دور المثقف الملتزم المنتقد لدور المؤسسات في تدجين الأهالي ،بإدانته لوظيفة المدرسة في ظل الاحتلال الفرنسي. محاولا الجمع بين آليات التغير الاجتماعي الذي لامس الطبقة البورجوازية ،و نتائجه على مستوى شكلها ومعالمها وأدوارها. «إن انهيار مدينة أزمور،خاصة اختفاء و تقلص عوائد الرأسمال ،أفقر و بشكل كبير بورجوازية هذه المدينة. فحاولت تعويض خسارتها من خلال الحركية الاجتماعية ،باللجوء إلى المسارات الإدارية. سواء تلك التي يمنحها وبشكل ناذر الجهاز المخزني ،أو ما تمنحه الحماية الفرنسية من مهن جديدة،بالنسبة لمن يتقنون اللغة الفرنسية :كمترجم ،ومعلم وموظف بالموانئ. الخ. كذلك قدمت بعض الأسر التجارية الكبرى ،و المكاتب العاملة مع شركة النقل CTM وظائف مهمة ،أقبل عليها بالدرجة الأولى الشباب الإسرائيلي.لقد أصبحت المدرسة الفرنسية (في ظل هذا الوضع) من أهم الآليات التي تسعى لإنشاء "حضانة للموظفين" الصغار على غرار ندرومة في الجزائر."236

و لعل ما يثير الاهتمام ،بشكل كبير، النقد الواضح لوظيفة المدرسة الاستعمارية ،كمؤسسة تسعى بالدرجة الأولى إلى بناء "التمييزالاجتماعي" la distinction sociale عن طريق التحكم في التكوين و المسارات ،بما يخدم مصالح المستعمر بالدرجة الأولى .

إذا اعتبرنا الأهمية البالغة لمفهوم "الهابيتوس" كما ورد لدى بورديو ،و المتجلية في قدرته على تحديد الاختيارات و القرارات الفردية و الجماعية ،انطلاقا من خزان التجارب المتراكمة و الاستعدادات الفطرية الملازمة لمختلف الممارسات الاجتماعية .فان السمات التي يحملها لدى لوكور ليست ثابتة ،بل تحركها ضغوطات اقتصادية و ثقافية تجنح نحو التغير و التجاوز. مما يعني أنها لا تتقدم

233 Charles Le Cœur :Ibid,P953
234 Charles Le Cœur :Ibid P.954
235 Charles Le Cœur :Métiers et classes sociales d'Azemmour ;ibid P .253
236 Charles Le Cœur :Ibid P951

كحتميات ثابتة ،و إنما تحكمها ديناميكية متنوعة .و لذا ،لا يمكننا الارتهان لضغوطات الواقع الاقتصادي وحده ، دون الكشف عن الجانب القيمي و الأخلاقي و السلوكي ،باعتباره محددا و نتيجة في نفس الآن،لهذه التغيرات الاقتصادية.

و الحقيقة أنه من الصعب الاعتقاد بسهولة تامة في هذا النوع من الخطاب النقدي ،تجاه الواقع الاجتماعي لدولة مستعمرة ،من طرف مثقف مستعمر .لكنه شك ،لا يمنع من وجود نوع من المصداقية التي تتأكد ،بعد ملاحظتنا لمسار التنشئة الثقافية للباحث (سبقت الإشارة لها)و إمكانية تناغمها مع مواقفه العلمية .

أ-شعائر المرورو الاندماج :

يعتبر المقال الذي نشره لوكور في مجلة هسبيريس ،حول "شعائر المرور في أزمور " سنة 1933،مساهمة علمية ،مختلفة نسبيا ،عن باقي المساهمات ،التي تمت حول نفس الموضوع من طرف باحثين فرنسيين آخرين .و هي في الأصل جزء من كتاب كان يعده للنشر ،تحت عنوان "الصراع بين الفكر الطقوسي و الفكر التقني بالمغرب دراسة في نظرية تواصل الحضارات ".

و في هذا العمل يحاول لوكور الميل لسوسيولوجيا متقدمة تتبنى المفهوم الدوركهايمي (رغم انتقاده لهذا الاتجاه)كوسيلة علمية لفهم المجتمع المغربي ،بالإضافة، إلى كونها الطريق الأفضل لتحقيق التواصل الذكي و الفعال بين حضارتين (الفرنسية و الإسلامية).

يحاول شارل لوكور بمنطق إثنوغرافي ،الانتقال للميدان ،من أجل تمحيص مصداقية المفاهيم المستحدثة في قراءته للمجتمع المغربي . و في هذا الصدد ،يجعل من" الشعيرة " أو الممارسات الشعائرية ،موضوعا حقيقيا وواقعيا بالنسبة للدراسة العلمية.موجها انتقادات منهجية لكل من الإثنوغرافيا المتمحورة حول مفهوم "العقلية البدائية"و كذلك ،المادية التاريخية المتمسكة بالعقلانية التامة التي تعتبر أن المفاهيم تعكس واقعها بصورة دائمة. إن "كراهية الشعائر "من طرف الاتجاهين ، لا تعبر في النهاية سوى عن هيمنة المنطق التقني و الاقتصادي ،و الذي يتناسى أنه ليس هناك ثروة أو تبادل اقتصادي بدون التفاعل الروحي ،بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة. من أجل ذلك ،اختار الأعياد،كممارسة احتفالية و شعائرية و كحقل منطقي لدراسة التعدد الثقافي الغير المغرض ،و كتعبيرعن الفروق الاجتماعية بين الناس.

المجموعة البارزة من هذه الأعياد تحددها الأحداث الطبيعية في الحياة:الولادة،النمو،الزواج و الموت.و مركز هذه الأحداث هو العائلة .لكنها تحتفظ بطابع عام ،يظهر بصورة أوضح في البادية.أما داخل البورجوازية المدينية فالاحتفالية تتخذ طابعا إقطاعيا،لأنه من عاداتها الاكتفاء بذاتها ،و استدعاء أكبر عدد من المدعوين (علامة الثراء)،محافظة ،في نفس الوقت ،على الفصل بين الجنسين ،و على إعطاء أهمية خاصة لهذه الأعياد كوسيلة أساسية للترويج عن نساءهم وأطفالهم،(و عن طبيعة انتماءهم الاجتماعي). الاحتفالية هي جزء مهم من بناء العلاقات الاجتماعية ،و ترسيخ مظاهر التفاضل و الجاه بين الفئات و الطبقات،و ليست كما تدعي الإثنوغرافيا الاستعمارية ،من العلامات الدالة على" بدائية "المجتمعات المستعمرة.و على أساس هذه القاعدة ،يرصد لوكور عبر ملاحظات ميدانية ،الفترات الطقوسية المحتفية بالوجود الإنساني من ولادته إلى مماته.معتبرا أن هذا الاحتفاء يستند على تصور خطي تعاقبي.

الولادة ~النمو~الزواج~الموت.تتواتر هذه الأحداث بطريقة آلية ،محققة بذلك التنظيم الأساسي للمجتمع عبر قيم عفوية و منغرسة في الذاكرة الجمعية بشكل عميق .

إن اختيار الباحث للطقوس و الشعائر كموضوع للمقاربة السوسيولوجية في وضعية الاستعمار ،يخضع في الحقيقة للتوجهات المعرفية الغالبة في تلك الفترة ،حيث دأبت الأعمال المونوغرافية و الأنتربولوجية و أعمال مؤسسي السوسيولوجيا على الاهتمام بالمعتقدات البدائية و ممارسات المجتمعات التقليدية بشعائرها و طقوسها ،معتبرين هذه الممارسات متميزة بشكل تام عن السلوكات العقلانية للمجتمعات الحديثة .و بالتالي جنحت أغلبية هذه البحوث إلى الربط بين الشعائرية و الإيمان الديني .و في هذه الحالة ، اتخذت الشعائر الصفة الدينية المقدسة التي لا يجوز التخلي عنها نهائيا .بما يحيلها في النهاية إلى نوع من الحتمية الاجتماعية و الأخلاقية التي يصعب الفكاك منها .ألم يرى دوركهايم أن و ظيفة الشعائر هي "تحقيق وحدة المجتمع ".؟و هو نفس التوجه الذي اختاره شارل لوكور ،عندما تعمد وصف الجانب السيكولوجي العاطفي الذي يعتري المحتفلين أثناء ممارساتهم .و

بذلك ،اتخذ،نسبيا،المسافة النقدية تجاه ظواهر "الغرابة" "و الفلكلورية "التي غطت خطابات الأجانب في تحليلهم للعادات و الطقوس و الشعائر المغربية ،محاولا قدر الإمكان ، المزج بين طابعها الديني المحض ؛و خصوصيتها الاجتماعية .و هو توجه معرفي لن يظهر بوضوح إلا أثناء القرن الحادي و العشرون على يد كاترين بييل Catherine Bell في محاولتها الأكاديمية لتوضيح الشعائر النظرية و الشعائر التطبيقية .237

ضمن هذا السياق ، يمكن قراءة انشغالات لوكور الإثنوغرافية حول "طقوس العبور" ،من خلال ملاحظتين على الأقل:

1-المعيش اليومي و الكثافة الأخلاقية .

يعكس مفهوم "الكثافة الأخلاقية "التأثير الواضح لدوركهايم على صعيد التحليل الإثنوغرافي لشارل لوكور.و الذي أكد من خلاله أن انتفاء هذه الكثافة بالنسبة للمدن ، و الاكتفاء بالجانب الديمغرافي فحسب ،لا يمكنه أن يحقق المجال الحضري المتوازن .لكن ما هو الأمر الذي يجعل من دراسة هذه الكثافة في بلد محتل ،و من طرف المحتلين ،موضوعا على جانب كبير من الأهمية .؟

انصب تفكير لوكور ،خاصة بعد مناقشة أطروحته، على دراسة دينامية الأخلاق في الوضعية الاستعمارية.معتبرا أن مشروعية العلم لا يمكن تحقيقها ،بمعزل عن تجربة دراسة و فهم المعاش.المعاش اليومي للآخرين كيف يبدو لهم ،و كيف يحدد واقعهم ،وأفراحهم، وأحزانهم.

لذلك سعى جاهدا لإثبات قوة و صلابة العلاقات القائمة بين الفرد و الجماعة،من خلال قواعد و سلوكات و عادات ترسخت عبر الزمان في الذاكرة الجماعية ، و تم التعبير عنها من خلال شعائر و طقوس ،حملت في النهاية الطابع المميز للمجموعات الحضرية أو القروية.

لقد لخص لوكور هذه الكثافة الأخلاقية ،في برنامج تطبيقي و ميداني، مستعينا بأدوات منهجية (الملاحظة بالمشاركة ،المقابلات ،و المقارنة ..) يسعى لإبراز مجموع السلوكيات اليومية التي تؤطر الحياة الاجتماعية للأفراد و الجماعات في مجتمع أزمور . و على هذا الأساس ،اكتست كل السلوكات الفردية و الجماعية ، معاني عميقة ووظيفية تشابكت مع مجموع القيم التي تعكس مستوى التطور الحضاري العام لسكان المنطقة .

إن احترام المرأة الحامل مثلا،لا يعد سلوكا عابرا و بدون معنى،بل يقتضي تجنيدا لإمكانيات عدة ،و تعبئة قيم معينة من أجل التعبير عن هذا الاحترام.:"نعمل على إخفاء الصور و المناظر القبيحة عنها كالقرود أو الرسومات الكاريكاتورية ،أي كل ما هو مستهجن و مشوه ،و نبحث بدلا من ذلك على تقديم كل ما هو جميل لها.كما نهرع لتلبية طلباتها خشية من تأثير ذلك، على الجنين في أحشائها.(الوحم)و في الأشهر الأخيرة من الحمل، ترسل الحلوى و المرطبات للطلبة من أجل قراءة ما تيسر من القرآن،لغاية تسهيل الولادة و الدعاء بخلاصها.و تستمر طقوس ما بعد الولادة لمدة أسبوع كامل ،يظل اقرباء النفيسة ملازمين لها طيلة هذه المدة."238

أما حياة الطفل منذ ولادته و إلى ما بعد بلوغه ،فهي سلسلة طويلة من الاحتفاء و التكريم .حيث تبدأ بالحلاقة الأولى بعد الأربعين ،إلى حدود الزواج و إغلاق دورة الطفولة .

ولا أدل على ذلك ،من الوصف الذي يقدمه حول حلاقة الطفل الأولى .و التي قد تبدو لنا اليوم بأنها سلوك آلي لا يعبر عن أي خصوصية ثقافية ." مبدئيا أول حلاقة تبدأ في يوم الأربعين .يؤخذ الطفل إلى ضريح مولاي بوشعيب ،أو إلى زاوية معينة في حالة انتماء أحد الأبوين لهذه الزاوية .يترك له بعض الشعيرات حسب العرف الذي يدل على الانتماء ."فالكصة"تدل على الانتماء لسيدي المكي الشرقاوي" السالف"المتدلي خلف الظهر،لزاوية عيساوة ،و"الكطاية" تدل على الانتماء لزاوية حمادشة ،و الشعيرات حول

237 Catherine Bell :Ritual theory ritual practice ,Oxford University ,Press USA 1992

238 Charles le Cœur :Les rites de passages d'Azemmour,Hesperis Tome XVII,1933,P152

الجبين ،لزاوية التيجانية و صحاب سيدي الغازي ."الكرن" (سواء المتدلي على اليمين أو اليسار)يعني عدم الانتماء لأي زاوية معينة ،و معناه اتقاء شر الموت ."239

فهل كانت الأسر المغربية مدركة تماما لأهمية الانتماء الاجتماعي لأطفالها ،و الإعلان عنه عبر رموز مظهرية واضحة ،من خلال عملية الحلاقة ؟.

يعتبر الوشم من العادات التي ميزت بعض المناطق المغربية ،خاصة تلك المتواجدة في البوادى و القرى .و لأهميتها لدى بعض العائلات ،لجأ لوكور إلى تصنيف سوسيولوجي ميز من خلاله بين ثلاثة أنواع ،تهم بالأساس الفتيات و النساء :

-وشم الزينة

-الوشم السحري

-الوشم القبلي.

في حين ظل الوشم الرجالي موصوم بالامتعاض و الاستهجان نظرا لمصدره الأوربي بالدرجة الأولى،حيث كان يمارسه السجناء و الجنود .

طبعا لايتوقف الأمر عند حدود هذه الممارسة ، بل يستفيض الباحث في وصف عملية الختان و الاحتفال الذي يرافقه ،مؤكدا "أن عملية الختان تبدأ أحيانا في اليوم السابع من الولادة ،لكن توافق هذه الممارسة مع العادة اليهودية التي تتم في نفس التاريخ ،جعل أهل أزمور يؤجلون ختان الطفل حتى بلوغه العشر أو اثني عشرة سنة.

إلا أن الباحث لا يقف عند حدود الوصف فقط ،بل يلجأ إلى تقسيم سوسيولوجي بين نوعين من الختان .

1-الختان "المفتوح" :و هو الذي يقرر فيه الوالدين بكل حرية تاريخه ،و مكانه ،و طبيعة الاحتفال به . 2الختان "المسروق ":أي الذي يتكفل به أحد الأقرباء أو الأصدقاء دون علم الأبوين ،إما في ظل الخوف على ألم الطفل ،أو لقلة الحال .و هذا النوع سواء اتسم بالعطف أو الإحسان فينظر له في الغالب بشئ من الامتعاض .

أما ظاهرة الزواج ،فقد اتخذت بعدا اجتماعيا و إنسانيا ،يختلف تماما عن الأطروحات الاستعمارية التي اعتبرته مكونا أساسيا في النظام البطريركي ،الذي يسلب إرادة الزوجين في مسألة اختيار الشريك ."تغلق ظاهرة الزواج دورة الاحتفالات بمرحلة الطفولة .و هي و إن كانت تحمل طابعا إجباريا ،سواء بالنسبة للنساء أو بالنسبة للرجال ، و حتى لو كان الآباء هم من يقررون من الناحية المبدئية ،فإن حق الناس في اختيار أزواج المستقبل مكفول ،و يمكنهم التعارف فيما بينهم قبل اتخاذ قرار الزواج بأنفسهم ."240

يتطرق الباحث لمجموعة من التفاصيل الثقافية و الرمزية التي ترافق شعائر الزواج بالمنطقة .و هكذا ،يعتبر أن حنة العروسة و امتطائها للحصان و تقلدها للسيف هي عادة تجري حتى في المدن المغربية العريقة مثل مدينة فاس . تسعى هذه العادة إلى إبعاد الجن و الأرواح الشريرة عن العروسين .

يؤكد هذا الوصف على أهمية الاحتفالية كعنصر محرك للعديد من الأنشطة الاجتماعية التضامنية ،الهادفة إلى ترسيخ متانة العلاقات بين الناس،و تعزيز روابطهم .مما ينمي كثافة الحياة الاجتماعية و يمنح للتعايش و التساكن إمكانية الاستمرار و إعادة الإنتاج.

الملاحظ على مستوى هذه التوصيفات، غياب الشرط المتعالي عن رؤية الأشياء في تطورها العام ،و بالتالي في تقدير طابعها المتحرك و المتوافق مع الضرورات الاقتصادية التي قد تمنع من استمراريتها في بعض الأحيان .حقيقة ،ان الباحث لا يتوانى في كل مناسبة عن القيام بمقارنة دقيقة بين ممارسة هذه العادات لدى الطبقات الفقيرة ،قياسا بممارستها لدى الطبقات المترفة .إلا أن هذه

239 Charles le cœur :Ibid P155

240 Charles le Cœur :ibid P160

المقارنة تبنى ضمنيا قواعد التمييز بينهما أكثر من إمكانية تقاربهما على الصعيد الاجتماعي .اللهم في بعض الحالات التي يرجع فيها إلى الهوامش أو الإحالات ، لمناقشة العديد من المراجع الأنتربولوجية .

لكنه في كل ذلك ،يسعى لتجريد الممارسات الطقوسية من طابعها الديني من أجل إدماجها في المنطق الاجتماعي المحض. مما يؤكد تأثره الواضح بأستاذه مارسيل موس ،الذي أصَّر على أن "الشعائرهي دائما صياغة "،و أن الشعائر الحركية ترفق دائما بالشعائر الشفوية .و على هذا الأساس يقدم تفسيرا لبعض الطقوس "الاحتفال بميلاد الطفل يدل على انه لم يدخل مثل حيوان صغير ،إلى عالم غير مبالي ،.بل يتم إدماجه في الجماعات الاجتماعية و الأخلاقية ،و في عائلته و مكان إقامته " 241

بينما تبدو عملية الختان ،و ما يعادلها ،محاولة لإدخال الطفل في فئة الراشدين .و هنا فقط يلجأ الباحث إلى التماهي مع الممارسات الجارية لدى المسيحيين في العالم الغربي ،و هذه الممارسة معروفة تسمى لدى المسيحيين بالتعميد الرسمي .

و بدون مبالغة ،يمكن القول بتصنيف هذا الانشغال في إطار الدراسات الأنتربولوجيا المهتمة بالشعائر ،و لكن دون التأكيد المبالغ على ارتباطها بالأسطورة كما تفعل البنيوية ،أو اعتبارها -كما سلف- كفكر ميت .خاصة و ان لوكور يقدم العديد من التوضيحات حول أهمية هذه الممارسات و تأثيرها على الحياة اليومية للمغاربة .

-مفهوم الهبة و الاعتراف المتبادل :

و بهذه المناسبة ،لا ينسى لوكور على غرار استاذه مارسيل موس ،نظام الهبة،و مدى أهميته في سياق تبادل الخيرات و القيم بين الناس."يقدم الجيران و المعارف "هدايا"للنفيسة من مال و حلي ذهبية "الزرورة"و المختلفة في طبيعتها عن "الغرامة" الممنوحة في الأعراس.لكن على النفيسة تذكر هذه الهدايا و أصحابها لردها لهم في مناسباتهم."242

حقيقة ان هذه الهدايا لا تسمح بتغيير الوضع الاجتماعي للنفيسة او أسرتها،لكنها تمنحها شرفا كبيرا ،عند رؤيتها لكثرة هذه الهبات التي امتلكتها بمناسبة ولادتها."243

إن وظيفة الهدايا في هذا الإطار، لا تعبر عن انتقال الخيرات و تبادلها فحسب ،بل هي التعبير الأسمى عن كثافة الحياة الاجتماعية ،و عن مدى مساهمتها في بناء التضامن و التكافل بين الناس ،في منطق احتفائي و عاطفي كبير.

و هو بذلك ،يعلن ضمنيا أن ظاهرة الهبة تقوم في مسارها و تطورها على أساس مفهوم المبادلة أو المعاملة بالمثل La réciprocité . و قد استأثر هذا المفهوم باهتمام الأنتربولوجيين منذ الستينات ،و تم استعماله لغايات وصفية و نظرية ،باعتباره دال على التبادل لمواد أو قيم مقدرة اجتماعيا ،تقريبا بشكل متساوي ،حسب نظام قياسي كمي أو كيفي .

هذه التفسيرات الخاصة بالهبة تجد صداها لدى مفكرين سوسيولوجيين آخرين أمثال مارسيل موس وآلان كايي Alain Caillé.طبعا في محاولته للتعبير عن غنى الواقع الاجتماعي و الثقافي و الرمزي المغربي ، اكتسى مفهوم الهبة في أعماله صيغة البراديغم .مؤكدا على أهميته في بناء النظام الاجتماعي ،و على قدرته في الحد من الميول النفعية في طابعها المعمم.244

يعترف لوكور ،على غرار أستاذه ، بالوظيفة المزدوجة للهبة و المتمثلة في واجب العطاء من جهة ،وواجب التسلم من جهة أخرى .و كلاهما يتطلبان مجموعة من التصرفات التي تسعى جاهدة لتحقيق الرضا ،ضمن الجماعات المختلفة ،و بالتالي في تبديد المشاعر المقلقة و السلبية اتجاه بعضهما البعض .

لذلك يمكن للهبة المرافقة لكل مظاهر الحياة الجماعية (من ولادة و نمو وزواج وموت) ،أن تنتقل من طابعها التبادلي إلى طابع صراعي، يتحول الأعداء من خلاله إلى حلفاء.

241 Charles Le Cœur :les rite de passages P138

242 Charles Le Cœur :les rites de passages....ibid. P152

243 Marcel Mauss :Essaie sur le don ,ED.enag,1989,P.16

244 Alain Caillé :Anti-utilitarisme et paradigme du don .Pour quoi ?Lormont, le Bord de l'eau, Bibliothèque MAUSS,2014,P39

و بصورة أوضح ،يتجلى التقاء لوكور وكايي ،في رفضهما للتصورات الاقتصادية النفعية ،و التي لا تقيم وزنا للعوامل الثقافية و الحضارية الخاصة بكل مجتمع.و لهذا السبب ،لا يمثل الإنسان بفعله الاجتماعي ،كائنا منفعيا ،و لكن الكائن الباحث عن الاعتراف ،و المتأرجح بشكل دائم بين الحرية و الضرورة، بين منفعته الشخصية و مصلحة الآخرين.

تقدم هذه القراءة العميقة لمفهوم "الهبة"نقلة نوعية في الأدبيات السوسيولوجية الكولونيالية .لكونها لا ترتبط بكيفية مريبة بمفهوم "العقلية " الذي تم تداوله بشكل كثيف، من طرف الباحثين السوسيولوجيين، تحت التاثير البارز لدوركهايم و ليفي برول ،و المرتبطة بمفاهيم البدائية" و "عقلية ما قبل المنطق" .

و مع ذلك ،ينبغي الانتباه لبعض النواقص الخاصة بهذا الطرح .

لا يميز لوكور بشكل دقيق بين المعاملة بالمثل Réciprocitéو التبادل L'Echangeو ما يتطلبه كل منهما ،من استعدادات و اعتراف و تقدير يهيئ الأطراف الفاعلة للدخول في علاقات مفعمة بالأخوية و العواطف النبيلة الدائمة .إضافة لذلك ،قلما ينتبه للاختلال الذي قد يحدث أحيانا عند انتفاء القدرة على رد الهبة ،أو عندما يختل ميزان القياس بين هبة و أخرى .بما قد يفسر بمشاعر قد تكون بعيدة جدا عن التضامن و التقدير .

علاوة على ذلك ، نفتقد في هذا الطرح لمفهوم الهبة ،القدرة على الربط بين توضيح حجم التناغم الحاصل بين التمثلات الجماعية والممارسات الاجتماعية.لأن الهبة في أبهى صورها ،ليست خدمة مجردة من أي رغبة في إقامة الروابط الاجتماعية على شكل الهويات المرتبطة بها .و بالتالي لا يحقق الوسيط الرمزي المقدم عبر الهبة المنفعة المادية أو العاطفية فحسب ، و لكنه يساهم في تعضيد الرباط الاجتماعي ،و يرسخ أشكال الهوية التي ترتبط به ،سواء على المستوى الفردي أو الجماعي .

-**التو افق بين العالم و السياسي** :أهم ملاحظة يمكن إبداءها بخصوص العلاقة الممكنة بين السياسة و العلم لدى شارل لوكور ،هي المرتبطة بإيمانه بكون المشروع العلمي لا يتعارض بالضرورة مع النظام السياسي المسيطر (الاستعمار).و لذلك حاول ترجمة هذه القناعة عبر انتهاج وسطية تسعى لتحقيق التوازن بين وضعية الباحث كمثقف ملتزم ،ووضعية الموظف الفرنسي التابع للدولة الحامية.

طبعا لم يكن الرجل غريبا عن السياسة ،فقد انضم للعديد من الهيئات السياسية و شارك في مجموعة من أنشطتها.و عندما فقد الأمل في اشتراكية جان جوريس ،اختار الابتعاد عن الأحزاب .و على العموم ظلت مواقفه مخلصة لذاك التوازن الذي حاول من خلاله التأكيد على ضرورة "الموضوعية" في دراسة المجتمع المغربي دون السقوط في المديح المغالي للوجود الاستعماري.هل كان هذا التوجه استجابة لضغط الأوضاع المهنية أم هو اختيار معرفي مستقل؟

ففي سنة 1938 و بعد مواقف عديدة حول السياسة الإصلاحية بالمغرب ،عين لوكور عميدا إقليميا بالنسبة للفرنسيين الرواد،من طرف لوسيان باي مدير التعليم الإسلامي في عهد الحماية،الذي كلفه بتنظيم الاتصالات مع النخبة الدينية المحتجة و مع مختلف المجموعات الاثنية بالمغرب.245

هذه الوظيفة رسخت لدى لوكور منهجية جد معقدة ،سعت للجمع بين المتناقضات أو محاولة الحد من تطرفها و انزلاقاتها نحو الانفجار.لذا طالب من خلال كتاباته في مجلة "الإنسان الحديث"بالعمل على تحقيق مهمتين متوازيتين:

-العمل على ضبط حماس النخبة الوطنية المحتجة ضد الاستعمار في مختلف المدن المغربية .

-تشجيع حقيقي للحماية ،و دفعها لتطبيق الإصلاحات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية بالمغرب.

طبعا ، يبدو الأمر شبه مستحيل ،نظرا لكون الإصلاحات الاستعمارية تهدف بشكل واسع،التأثير في طبقات التجار التقليديين و الطبقات الحضرية و الإدارية ،بما في ذلك أبناءها و بناتها ،من أجل تحويلها إلى نخبة حداثية مطيعة.ربما يفصح هذا الموقف عن "المأزق النظري" الذي حاول الجمع بين المتناقضات من أجل تأسيس تصورات ترضي جميع الأطراف ،بصرف النظر عن مستوى اختلافها و تباينها.

245 Alice L.Conklin :ibid. P46

و على أساس هذا الاستنتاج ،اخترقت العديد من التناقضات البناء السوسيولوجي لشارل لوكور ، و التي أشرنا لبعضها. لذلك ، يصعب علينا فهم العلاقة بين "جاذبية مغرب ليوطي"و الذي سماه لوكور"ثورة المارشال ليوطي"،و بين دفاعه المستميت عن أحقية الناس في استقلالهم و حريتهم و كرامتهم. إلا أن الأمر يبدو أكثر وضوحا ،عندما تنتفي الحواجز بين هذه المفارقات لتتشكل كنظام عام في منطق التحليل السوسيولوجي لدى شارل لوكور.و على هذا الأساس يعترف بأهمية المفكرين العظماء و" رجال الدولة الفضلاء الذين لا يخشون من صورتهم و ينشرون فكرهم المنير في كل مناطق الظلام الشاسعة، و المهددة لحياة الناس .هؤلاء هم من يكشفون عن رفع الحواجز بين العلم و الفعل."246

السلطة و الاحتكاك بالميدان هما القوتان الحقيقيتان لإنجاز العلم .و السؤال السوسيولوجي الأكثر أهمية ليس هو البحث عن الأشياء المشتركة بين المجتمعات، أو ما يميز مجتمع عن الآخر.و لكن كيف يمكن تفسير التفاهم بين الناس في مجتمع متعدد الثقافات و المعتقدات .؟و هو تساؤل يتجدد اليوم لدى المختصين في الأنتربولوجيا ،و في اللسانيات، و سوسيولوجيا التواصل .

لقد فطن جاك بيرك بحدسه السوسيولوجي المتميز ،لأهمية التفكير المتعدد الذي قد يراه البعض كتناقضات لدى لوكور." تأرجح شارل لوكور في تفكيره بين التاريخ و الفلسفة ،حيث توسطت السوسيولوجيا بينهما.و مال في تفكيره العقلاني الغالب إلى التأويل و الفعل الذي يبحث خلف تنوع الأشياء و الكائنات ،عن ملامسة الوحدة ،و عن تحويل المستعصي و الغير معرف ،إلى السهل و الواضح."247

تتعزز هذه الشهادة الأكاديمية ، بما أورده جورج بلانديه في مقدمة كتاب شارل لوكور ، لشرح هذا التعارض الغني و الهادف في الإنتاج السوسيولوجي لشارل لوكور :"إن مؤلف لوكور يمكن أن يفهم خطأ....إذا تناسينا عاملان أساسيان في تكوينه :16 سنة من الحياة بإفريقيا ،و المسافة النقدية تجاه أوربا الحاضنة للفكر الفاشي ،و الاشتراكية الستالينية.لذا اختار(الباحث) البعد التعددي النزيه، المعارض للتوحيد الإجباري، أوانتهاج العقلانية عن طريق العنف ."248

لا شك، أن العثور على شذرات متقدمة جدا من فكر لوكور، في العديد من الأبحاث السوسيولوجية المعاصرة ،لا يمكنه أن ينسينا إعجابه المفرط بالتجربة الاستعمارية في المغرب،خاصة إعجابه بالمارشال ليوطي(كما سبق).على الرغم من اعترافه الصريح بأن طلبته لا يشاركونه هذا الإعجاب.لكنه مع ذلك ، لن ينسينا أيضا كفاءة الرجل و إخلاصه للمعرفة الإثنولوجية و السوسيولوجية البعيدتين عن النزعة التدميرية (التهدينية)التي انتهجها بعض مفكري الاستعمار الفرنسي تجاه المغرب و المغاربة.

--سوسيولوجيا العقلية المغربية:لوي برونو Louis Brunot

محور آخربرز على مستوى السجل الكولونيالي،لكنه لم يحظى بالاهتمام الكافي من طرف علماء الاجتماع المغاربة ، بعد الاستقلال .ونعني به الاهتمام "بالشخصية المغربية "خاصة ما يتجلي منها على مستوى القيم و العادات و اللغة و العقلية .

و الذي عبرت عنه كتابات لوي برونو(1882-1965)Louis Brunot.بطبيعة الحال التأثير الذي مارسته النظرية الاجتماعية الكلاسيكية خاصة في اهتمامها البالغ بما هو "اجتماعي " فحسب ،و التغاضي عن النفسي و العاطفي و القيمي في تحديد السلوكات الاجتماعية نفسها،يفسر إلى حد ما عدم التركيز على مفهوم الشخصية المغربية، و على البنيات النفسية و السلوكية المحددة لطبيعتها .249

ينضاف لكل ذلك ،عنصرا آخر لا يقل أهمية عن ما سبق ،و نعني به "حدود الاجتماعي ".لقد تعودنا النظر _حسب مستلزمات النظرية الاجتماعية الكلاسيكية -إلى الاجتماعي باعتباره دالا على المجموعات أو التجمعات المتبلورة في شكل عفوي أو مؤسساتي و

246 Alice L.Conkline :Ibid.P.55

247 Berque jacques :Une perte pour la sociologie Francaise,Charles Le Cœur,Annales,Histoire,sciences sociales,Tome 7,N1,Mars 1952,PP.143

248 Balandier George :Introduction ...in Charle Le Cœur,ibid,P.V

249 :لقد أشار عالم الاجتماع المغربي عبد الكبير خطيبي إلى أهمية هدا الموضوع في مقال له تحت عنوان "ما معنى المغربي ؟"و تم نشره بعنوان "المغرب كأفق للتفكير "

التي يمكن الكشف فيها عن أنظمة ضمنية تحدد نشاطها ووظائفها.و بالتالي فهي ليست فردية ،لأن كل ما هو فردي لا ينتمي لمجال السوسيولوجيا ،بل لميادين علم النفس على مختلف تخصصاته .و هكذا ،اصبح الفرد بكل تصوراته و ممارساته وقيمه و عاداته ،مستبعدا من التحليل السوسيولوجي ،بحجة الخصوصية الأبستمولوجيا و المعرفية للسوسيولوجيا.

يتميز الباحث لوي برونو ،بنوع من الحدس الدقيق في التقاط اللحظات المعبرة في الحياة اليومية للمغاربة.و يتطلع من خلال ذلك ، لوصف الآليات المتحكمة في جل سلوكياتهم خاصة تلك المتعلقة بالعادات و اللغة والتقاليد وقواعد السلوك، و طرق التفكير، و التمثلات ،و العقلية.هذا الأمر لم يكن جديدا في مجال دراسات الواقع المغربي ،و قد ساهم قبل ذلك ،إدموند دوتي و بشكل جد متقدم، في إبراز طرق التفكير، و المعتقدات ،و التمثلات الشائعة في المجتمع المغربي،على الرغم من إقامته المحدودة بالمغرب من خلال بعض المهمات التي كان يقوم بها في الجزائر بشكل خاص.حيث صدر أول كتاب له سنة 1905 تحت عنوان"مراكش"و توالت بعد ذلك زياراته للمغرب في الفترة الممتدة بين 1906 و 1909مع مرافقين محليين . بعد هذه الرحلات سوف يظهر كتابه المعروف "السحر و الدين بإفريقيا الشمالية سنة 1909 .**250** و بالنظر لحجم الإمكانيات التي توفرت للوي برونو ،سواء فيما يتعلق بأوضاعه المهنية أو العلمية ،أو تلك المرتبطة بمدة إقامته بالمغرب ،فإن قيمة الأعمال التي قدمها في هذا السياق تبدو جد متواضعة.و بهذه المناسبة فإن إعادة طبع كتابه Au seuil de la vie Marocaine مدخل لدراسة الحياة المغربية،و الذي يشمل مقالين صدرا للكاتب ما بين 1926 و 1930.المقال الأول يحمل عنوان "الآداب و العوائد لدى المغاربة"و الثاني "نحن و الآخرون ،مقترحات حول العلاقة بين المغاربة و الفرنسيين"،يعتبر حدثا مهما ،و فرصة لتجديد الصلة النقدية بالمشروع الكولونيالي ،الذي قد يتجدد ظهوره على صعد معرفية كثيرة .

الظاهر، أن التوجه العام الذي يبني عليه الكاتب أحكامه الوصفية لهذه القواعد و العادات ،تذهب في سياق التأكيد على الخصوصية "الثقافية"و"اللغوية "و ما قد يرتبط بهما من أسئلة "الاختلاف"و التمايز.

أما على المستوى المهني ،فقد عرف الرجل بكونه كان أستاذا بمدينة الرباط ،يدرس اللهجة المغربية الدارجة في المدرسة العليا المؤسسة من طرف الإقامة العامة ،و التي قدمت العديد من الخدمات لفرنسا و لنظام الحماية بالمغرب .ساهم لوي برونو في دراسة الثقافة اللغوية و الاجتماعية لمدينتي الرباط و سلا من خلال كتابين مهمين :" La mer dans les traditions et les industries indigénes àRabat et Salé (1921) بالإضافة لكتاب " Notes lexicologiques sur le vocabulaire Maritimes de Rabat et salé(1920).

قد لا يخامرنا الشك في المصداقية العلمية للباحث ،و في القراءة المتبصرة لسلوكيات المغاربة و المعاني التي يتم من خلالها تبرير هذه السلوكيات .لكن من الصعب التغافل عن عملية التجريد المطلق للمغاربة من كل الصفات التي تجعلهم متساوين لغيرهم من الحضارات الأخرى .

يقول :"المغاربة ليسوا بدائيين،لهم حضارة أصيلة ،و لكنها لم تتطور كثيرا،بما يذكرنا بأوضاعنا في القرن الوسيط ...و بعبارة أوضح هم متحضرون و لكن ليس مثلنا".**251** هذا الحكم القطعي يمثل نموذجا ،للفكر الكولونيالي المتعود على التصنيفات المتحجرة للأفراد، و أنماط تفكيرهم و سلوكهم.و بشكل خاص تأثير الاتجاه الإثنوغرافي لليفي برول الذي نفى صفة العقل و المنطق عن التفكير الإفريقي.

ما يعزز هذه الفكرة ،هو ما أورده الباحث في معرض حديثه عن الحضارة البحرية لمدينتي الرباط و سلا ،بداية من عصورها السحيقة إلى حدود الاستعمار الفرنسي :"إن الأهلي المغربي لم يكن بحارا حقيقيا ،فهو يجهل كل شيء عن البحر ،إضافة لخوفه

250 جمال الخلوفي :التدين المغربي في الدراسات الأجنبية،الكتاب الجماعي حول الثقافة الشعبية المغربية في النصوص و الدراسات الوطنية و الأجنبية .منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط 2016 ص.202

251 Louis Brunot : L'esprit Marocain, les caractères essentiels de la mentalité Marocaine .E.P.M.1923,N 53,P.37 يقوم على

منه ،لأنه يراه كيان أعلى من الإنسان ،كائن سحري شرير ،لذلك ،يطلب اتقاء شره عن طريق تقديم القرابين أو بمساعدة الطلاسم السحرية المتواجدة بكثرة في المغرب " و للمزيد من التوضيح ،يستطرد الباحث قائلا :

"سكان الرباط وسلا لا يجيدون الملاحة، وهم خرافيون، كسولون، ويستسلمون للقدر. لا يجرؤون على الثقة بالبحر، ويظلون حبيسي وادي أبو رقراق، حيث يصطادون سمك "الشابل" بسلام. جميع الصناعات البحرية مستوردة من قبل الأجانب: الرومان، الإسبان... أما المصطلحات البحرية فهي إسبانية في الغالب، ولا تحمل أي طابع محلي."تتعارض هذه الصورة مع الملاحظة التي أبداها الرحالة الإسباني Gatel حول المدن الساحلية في المغرب مؤكدا استهلاك الساكنة لأنواع معينة من فواكه البحر لم تكن معروفة لدى الإسبان أنفسهم أنذاك .،بل كان يتم تصديرها للجزائر (أهمها ما كان يعرف بالجراد البحري ، Crevettes.252

في دراسة حديثة للويجي سيرا Luigi SERRA"القاموس البحري لدى البرابرة "يكشف صاحبها عن موقف مغاير تماما ،لما يطرحه لوي برونو :إن إنكار أي موهبة لدى البربر في الأنشطة البحرية ،يحد في الوقت نفسه من دراسة الروابط بين الحضارات ،و التطورات الثقافية ،و التحولات الاجتماعية التي ربما حدثت على طول ساحل شمال إفريقيا ،فيما يتعلق بالحياة البحرية لسكان الساحل ،على الرغم من بدائيتها و بساطتها .253و لذلك ،تبدو الدراسات المؤكدة على أن الأهالي يخشون البحر ولا يملكون أية ثقافة بحرية ،غير مثبتة بشكل قطعي .بل على العكس ،الدراسة التي أنجزها روبير مونطاني حول "البحارة الأهليين بالمنطقة الفرنسية " و التي استفادت بشكل كبير من دراسة لوي برونو ،لم تستطع الإنكار التام ،لوجود قاموس بحري متعلق بالبحارة و تعاطيهم اليومي للصيد البحري ،و بالأدوات و التقنيات البحرية ،و الأوقات المناسبة للصيد ،و أنواع الأسماك ...الخ .

و في هذا السياق ،قد نتفق مع الباحثين جان نويل فيرييه Jean Noel -Ferrié و السعدية الراضي في كون مثل هذه الأحكام ليست سوى جزء من "السم الناعم للنزعة الثقافية "التي مثلها في ما بعد كليفورد كيرتز Clifford Geertz و التي كانت تفترض في توصيفاتها المختلفة ،أن هناك طريقة عادية و مشتركة لوجود المغاربة ،وتعتبر أشكال الوجود المحلي كتمثلات ليست لها أي علاقات ضرورية مع الواقع الموضوعي، خارج الإكراهات المعرفية و السلوكية المستنتجة من طرفها.254 يكمن السم الخفي للثقافوية، في الواقع، في كونها تصور طرقًا محلية للعيش مع الكثير من الحياة ، بينما تعتبرها فقط تمثيلات لا تحافظ على أي علاقة ضرورية مع الواقع الموضوعي، بصرف النظر – على الأقل – عن القيود المعرفية والسلوكية التي تستحثها. في الحقيقة، بالنسبة "للنزعة الثقافية "، فإن الواقع - على الأقل واقع الآخرين - هو واقع ذاتي تمامًا. وهذا يؤدي بشكل خاص إلى صعوبة، بل واستحالة، أن يتبنى الأفراد موقفا بعيدا عنه، لأنه جزء من داخلهم.

على كل حال ،ليس الغرض هو تأكيد الخلفية الكيدية في التصورات الثقفاوية ،لأن ذلك قد يحتاج منا إلى الكثير من البراهين والأدلة ، لكن ارتباط هذا التصور بأشخاص مثلوا السلطة الاستعمارية بكل سطوتها و استعلاءها الثقافي ،يغنينا في الواقع عن أي براهين أخرى .إلا أن الأهم من ذلك ،هو موضوع البحث في دور وأهمية القيم المحددة لسلوكات الأفراد و الجماعات.و هل يمكن اعتبار هذا الجانب مهيكلا لعقلية متميزة عن باقي العقليات الأخرى؟ و إلى أي حد يبدو هذا الارتباط العميق بما هو ذاتي ،كتعبير عن التفرد الثقافي ،أم هو في الحقيقة محاصرة سوسيوثقافية للكائن المغربي في قواعد سلوكية صارمة تأخذ طابع الحتميات الاجتماعية ؟

لاشك ،أن انتقال السياسة الاستعمارية من مرحلة الغزو و الاحتلال، إلى مرحلة الدفاع و التبرير،قد بدت كمحاولة لمحاصرة الحركة التاريخية للمجتمع المحتل،و ليس كبديل بنائي مسخر للحل الإيجابي لتناقضات تلك الحركة .إنها محاصرة بنيوية ،تروم

252 محمد المرجان :الرحلة و المعرفة الكولونيالية ،دار أبر رقراق الرباط سنة ص 61

253 Luigi SERRA :Le vocabulaire berbére de la mer ,in Actes du premier congrés d'études méditerranéenes d'influences arabo-berbére S ?N.E.D 1973 P111

254 Jean Noel Ferrié et Saàdia Radi :Le doux poisons du culturalisme ,la mentalité ,les croyances et les régles : introduction à la réedition du livre :au seuil de la vie Marocaine,Louis Brunot,centre jacques Berque 2013,P11

تثبيت الكائن المغربي في صفات و مواقف و سلوكات جوهرية غير قابلة للتبدل أو التغير. و في هذا السياق ،يبدو الرباط العضوي بين المعرفة و السياسة، مسنودا بالرباط القائم بين المؤسسة (الاستعمارية)و الأشخاص(المرتبطين بها).مما يؤكد أن الاهتمام الذي أبداه برونو لوي بمسألة العقلية المغربية بتجلياتها القيمية و السلوكية و اللغوية و الاعتقادية ،هو جزء من الحصار المشار إليه.و طبقا لهذا الافتراض،فإن واقع الأفراد هو ذاتي على وجه التحديد .مما يعني أنه –كما اشرنا - يصعب عليهم اتخاذ مسافة معينة اتجاه هذه الذاتية، لكونها تشكل جزءا قويا من واقعهم الداخلي.

في الواقع ،لا يمكن بناء حصار معين إلا على أساس أرضية صلبة ،تحددها عناصر جوهرية نستطيع من خلالها التحكم في أية إمكانية للانفلات أو التخلص من هذا الحصار . بهذه الطريقة ،استطاع لوي برونو تعيين أهم العناصر و أكثرها بروزا "لفهم الآخر" و محاصرته .و نعني "اللغة " و "العادات "و "المعتقدات " و "العقلية ".

1-اللغة "الدارجة": توجه برونو لدراسة اللغة الأكثر التصاقا بالشعب ،أي الدارجة المغربية ،و ليس اللغة العربية الفصحى .هذا الاختيار يقوم على العديد من المبررات ؛أولها انه يمثل لسان أغلبية المغاربة في تواصلهم اليومي ،كما يعكس ثقافتهم و تقاليدهم و الحقائق الاجتماعية للبلاد .ثانيا هو الوسيلة الأكثر فاعلية في فهم و إدراك إالديناميات الاجتماعية التي تشكل حياة المغاربة بصفة عامة.

و بدون مبالغة ،يمكن القول بأن هذا التقليد المركز على الدارجة المغربية ،كان أمرا شائعا بين مثقفي الاستعمار بشكل عام ،سواء الفرنسي أو الإسباني .و قد ساهم البعض منهم في وضع قواميس خاصة بهذه اللغة .

من البديهي ،اهتمام السوسيولوجيا الكولونيالية بمسألة اللغة كمدخل عام لفهم الشخصية المغربية ، و إدراك مستوى تفاعلها، و تواصلها ،و مدى استجابتها للمواقف و الأحداث المستجدة في حياتها .و هو ما يمكن اعتباره في منطق الاحتلال ،أمر حيوي و هام جدا .

و على العموم ،التوجه نحو دراسة و تحليل و تصنيف اللغة الدارجة ؛يهدف أساسا إلى عملية جد معقدة ،تتحول من خلالها الحروف العربية إلى حروف لاتينية ؛مما يسهل على الموظفين الاستعماريين عسكريين و مدنيين ،فهم اللغة المحلية بصورة أسرع .

لقد أصبحت اللغة في الفكر الكولونيالي موضوعا ،ينبغي التحكم في مساره و مآله ؛لأنه يعيد رسم مجال النفوذ الاستعماري ،و يعمق مجال تأثيره إلى حد كبير ,

لذلك ،اختار لوي برونو استراتيجية مفككة لنظرية الكتلة اللغوية الموحدة .و قام برسم تضاريس لهجية مجزأة (سواء على المستوى الجغرافي أو الإثني أو المجالي).وزعها على مستوى المناطق الجغرافية الأساسية بالمغرب .مما يعني تعميق التمييز الاجتماعي و اللغوي بشكل قوي .لكن الأهم هو ما استنتجه خلال محاولته لدمج و رسم خرائط المساهمات اللغوية الرئيسية في المعجم المغربي ، بالأخص قيامه بتصنيف الاقتباسات الهائلة عن اللغات الإيبيرية و الفرنسية في بداية الحماية .

1-"**القاعدة "و فن التهذيب**: من المعلوم ،أن التوجه لدراسة العمليات السلوكية الخاصة بالأفراد الساعين لتحقيق السلامة و الانضباط الأخلاقي .ظلت تشغل و لأمد ليس بالقصير ،العديد من الباحثين في العلوم الإنسانية .و هذا المسعى يتوخى القاء الضوء على "طرق التصرف "اليومية ليس باعتبارها الخلفية الغامضة و المظلمة للنشاط الاجتماعي ،و لكن بوصفها قراءة و كتابة للثقافة العمومية في تجلياتها الشكلية و المتضمنة .و بالتالي الاهتمام بهذه الممارسات ينتمي إلى حقل واسع ،ليس بالإمكان تحديده ،إلا بشكل مؤقت ،على غرار ما يسمى بحقل الإجراءات .des procédures.[255]

فهل سعى الباحث الفرنسي لتحقيق هذا الهدف العلمي ؟أم اتخذ من القاعدة السلوكية المتغيرة للمغاربة خطاطة صارمة ،تسلب إرادة الإنسان في توقه للتغير و التقدم ؟

255 Michel de Certeau :l'invention du quotidien ,folio essai ,Gallimard ,1990,P71

يتوجه الباحث في دراساته لمخاطبة مجموعة من السلوكات و الاعتقادات ،ليس باعتبارها محدودة و محكومة بعوامل سوسيولوجية واضحة،بل كقيم عامة تتميز بطابع العمومية و الترسيخ و الديمومة. و على هذا الأساس يقع لوي برونو Louis Brunot في التناقض الشديد حين يتعرض لوصف المعتقدات باعتبارها دالة على العقلية؛ نتيجة لهذا الموقف، تصبح بعض التصرفات القائمة على المحاكاة و الإتباع ،فلسفة أخلاقية تميز طبقة اجتماعية بعينها.ربما في مثل هذا السياق، سارت العديد من الأبحاث الأنتربولوجية خلال الحقبة الاستعمارية ،باحثة عن المنطق الثاوي خلف التصرفات و السلوكيات و المواقف التي تميز المغاربة عن الشعوب الغربية.

البحث عن الصفات المعبرة عن العقلية ،هو محاولة لربط السلوكيات الظرفية و العابرة ،بما هو جوهري و مترسخ في الطبيعة البشرية .و كأن المنطق الاستعماري، رغبة منه في تقليص الاختلاف ، يسعى لبناء شخصية قابلة للفهم و الاستيعاب من طرف الذهنية الفرنسية المؤمنة بوحدة الفعل و التفكير، و بالمرجعية المدنية للأخلاق بشكل عام.و على هذا النحو ،يرسم لوي برونو التمييز الخاص بالعقلية المغربية على هذا النحو :" وهذا يعني أن العقلية المغربية أقل بساطة بكثير من عقليتنا؛لأن السحر والدين والطب والفن والأخلاق والعادات والأدب تمتزج فيما بينها بشكل وثيق: و بالتالي أي مظهر ثقافي لا يمكن عزله عن أشكال التطور الأخرى في الحياة المادية والمعنوية للمغاربة ."256

تهتز هذه الصورة تماما ،عندما يتعرض الباحث لمشاعرو أذواق المغاربة :"يسعى المغربي ،سواء كان من الجبال أو من السهول ، فلاحا أو من سكان المدن ،إلى الملذات المادية و الشهوانية بكل قوته .أما الرجل الثري و المثقف في المدينة ،فلديه نزعة أبيقورية نتبناها بسهولة ."257

و في هذا القول ،إصرار على جعل الإنسان المغربي ملتصقا بنوع من البدائية المكرسة للحالة الطبيعية ،أو تقريبا الحيوانية ،البعيدة جدا عن مجال الحضارة الأوربية المتقدمة .

و لتضخيم هذه الصورة المشينة للمغاربة عامة ،يتسائل الباحث بنوع من المكر ،عن استفحال و سيطرة الرغبة الجنسية لديهم بشكل يدعو للاستغراب ."كيف يمكن تفسير وجود آلاف المومسات في مدن شعب ،يمارس تعدد الزوجات على نطاق واسع ،و يسخر من العزوبية ،إلا من خلال تضخم هذه الشهوانية المفرطة ."258

تماشيا مع هذا الطرح ،يحاول لوي برونو تعريف "القاعدة "و أهميتها في تنظيم مختلف السلوكيات داخل المجتمع. "يستعمل المغاربة كلمة "القاعدة"للإشارة إلى الواجبات الغير الدينية ،الدنيوية الصرفة أو الأخلاقية ،فمن خلالها تباح أشياء و تمنع الأخرى .و على الرغم من عدم وجود أصول لها في المعتقدات الدينية أو السحرية ،فهي ليست أقل قوة في بلد يعاني فيه الفرد من ثقل الضغوط الشديدة للمجتمع:لا حرية فيه ،و لا خيال مسموح به .أما المشاعر الحميمة فهي مرفوضة بشكل مسبق.و لا يمكننا اختراق القاعدة دون التعرض إلى الذم العام .لكن بمجرد الخروج من الجماعة أو من البيئة الأصلية ،يشتغل الخيال في الحدود المعقولة ،التي لا تخرج عن طيبة الأخلاق .259

تتحول القاعدة ،باعتبارها مجموعة من الأعراف ،يقع التسليم بشرعيتها بشكل آلي ،عن طريق المحاكاة و الاتباع،إلى منظومة أخلاقية و عاطفية و سلوكية ،تتحدد من خلالها شخصية الإنسان المغربي بحمولاتها التراثية و التاريخية ،دون أي تأثير ظاهر للعوامل الدينية أو السحرية .كيف إذا يمكن التسليم بوجود هذه المنظومة الشاملة في مواجهة التنافر الثقافي و التعدد الإثني و اللغوي للمغاربة؟و هل يمكن القول في هذه الحالة أن القاعدة تنبع أصلا من خصوصية الجماعة المحدودة و ليس من المجتمع؟

يحاول لوي برونو الإجابة عن هذه التساؤلات ،فيما يلي:"يتمثل المجتمع المغربي كمزيج من العرقيات و الحضارات و أنماط العيش و اللغات و الطبقات الاجتماعية.لا تؤهلنا أفكارنا المسبقة و لا إيماننا بوحدة الأمة الفرنسية على استيعابها.لكن أصالة هذا المجتمع

256 Louis Brunot :la politesse et les convenances chez les Marocains (in introduction, à la connaissance du Maroc,Casablanca 1942)P248

257 Louis Brunot :L'esprit Marocaine :les caractères essentiels de la mentalités Marocaine .B.E.P.M 1923,N 53 P.42

258 Louis Brunot :ibid P43

259 Louis Brunot :Au seuil de la vie Marocaine,Librairie FARRAIRE,casablanca,1923,P.67

لا تكمن في تعقيداته الخاصة و الشبيهة إلى حد ما، بباقي الأمم ،و لكن بخصوصيته المتفردة بوجود تلك العاطفة ،أو الشعور الحاد بالارتباط القوي للفرد بالجماعة الأصلية.هذا الشعور الذي يجد تعبيره في العديد من الوسائل :كاللغة الدارجة ،اللباس ،طبيعة الأنشطة ،الأقوال و الأمثال المتداولة."260

مفاد هذا الاستشهاد كون القاعدة هي المجال المذوب للتنافر و الاختلاف و التباين ،في نفس الآن الذي يحقق أرضية مدعمة لارتباط الفرد بالجماعة .و لتعليل انتفاء هذا الاختلاف ،يؤكد مرة أخرى :"على الرغم من عدم التجانس القوي لسكان المغرب ،فإن لهم مع ذلك عمقا مشتركا ،و هو العمق البربري".261

يبدو أن القاعدة هي البناء النظري الذي حاول الباحث من خلاله محاصرة الإنسان المغربي، و البحث انطلاقا من صفاته عن الوسائل المحققة لهذا النوع من الخضوع.و بهذا المعنى، تحولت القاعدة على غرار الأعراف و التقاليد ،إلى عنصر للاستمرارية،معبرة عن ارتباط بالماضي و إكراهاته،كما فرضت توافقا بين الفئات المختلفة، عن طريق إيجاد معنى موحد.و بالتالي قيما تحدد سلوكيات الأفراد و الجماعات ، و تنتقل من جيل لآخر.أما على المستوى الأنتربولوجي، تبدو القاعدة إرثا ثقافيا يعرف و يتدبر أمر النظام الاجتماعي ،عبر إقصائه لأي تأثير للتغير الزمني على الأفراد و على تصرفاتهم.

المفارقة المثيرة للانتباه في تعريف القاعدة ووظائفها ،كونها تستمد شرعيتها من العناصر الغير الدينية –حسب لوي برونو-و لكنها غير قادرة على التجرد النهائي من أحكامه و مبادئه.الدين يملك سلطة تتجاوز حدود الاعتقاد ،و حدود الممارسة الروحية بشكل عام.و بهذا المعنى يتمثل كمنظومة محددة لوجود الإنسان المغربي بشكل جوهري.:"لقد قلنا بأن المغربي يتميز بعقلية دينية جد عميقة ،و تفكيره أسطوري،و عالمه يعج بالكائنات الخفية و القوى الروحية ،بنفس القدرالذي تغمره المعطيات الملموسة المكتسبة عن طريق العقل و الحواس.لكن غالبية أفكاره هي دينية ترجع للإسلام أو للمعتقدات القديمة،التي يدعمها الإسلام نفسه، فتتحول لدى الناس إلى أرثوذكسية."262

تعريف الذات يشمل كذلك تصنيف الآخرين،بمعنى أن هذا التصنيف يتحول إلى آلية إقصاء تقوم بالدرجة الأولى على أساس ديني . "الآخرون هم دائما إما مسلمون أو مسيحيون أو يهود أو نصارى.و كل القضايا تستعمل على العموم في سياق هكذا تصنيف.الفرق مثلا بين الأحياء السكنية ،تسمية العطل الأسبوعية(الجمعة للمسلمين و السبت لليهود و الأحد للنصارى) أو الأعياد الدينية الخاصة بكل جماعة..الخ.هذا التصنيف الثلاثي لدى السكان المغاربة يشمل المجال الديني و المجال المادي على السواء.و في الغالب لا يشعر المغربي بضرورة البحث عن أسباب هذا الاختلاف بين المجموعات الاجتماعية. لأن مذاهب الديانات الأخرى، لا تثير فضوله، يكفي أن يدرك اختلافها عن المذاهب الإسلامية ،لكي يبتعد عن الخوض و البحث العميق في هذه المعرفة."263

إننا أمام محاصرة حقيقية للإنسان المغربي، يتحول خلالها إلى "كائن ديني"،خاضع في كل تصرفاته و سلوكه و أنماط عيشه و علاقاته الاجتماعية لهيمنة القرآن و السنة.وهما العنصرين اللذين تتحدد على أساسهما مبادئ الآداب و قواعد اللياقة الإسلامية.أمام هذه الهيمنة أي هامش يبقى "للقاعدة"؟الظاهر أن الباحث في سعيه لتقليص حدود التأثير الديني لم يتمكن من الحصول على قواعد و قيم مجردة تماما عن ذلك التأثير.و من خلال الجرد العام الذي يقترحه كصفات للإنسان المغربي لا نستطيع التمييز بدقة متناهية بين ما هو خاص و ما هو كوني ،بين ما ينتمي للإيمان العميق المبني على أسس منطقية ثابتة ،و بين ما هو عابرو مختلف،بين ما هو محلي و إقليمي ،و بين ما هو وطني و عام .

القاعدة في الأصل هي عبارة عن فن تهذيبي ،ينشئه الأفراد من أجل الحفاظ على تماسك المجتمع،و الحفاظ على استمراريته.إلا أن سلطتها على الناس غير مرتبطة بتطبيقها ،بل لكونها تتقيد بقواعد معيارية معينة في تفاعلاتهم، يمكن جعلها مفهومة بإظهار ما

260 Louis Brunot :ibid P27
261 Louis Brunot :ibid P.38
262 Louis Brunot :ibid.P.43
263 Louis Brunot :ibid ,P 27

الذي يعنيه تقديس هذه القواعد و توقيرها بالنسبة لهم.لكن المسافة شاسعة بين أهمية المعايير و القواعد لدى برونو إتيان ،و نظرية المعاني التي تكتسيها هذه القواعد من حيت الدلالة و الرموز .لذلك تبقى الأوصاف السوسيوغرافية التي يقوم بها اتجاه ساكنة المغرب ،محدودة جدا ،تعيد إنتاج الأدبيات الكولونيالية بشكل مريح.و أغلبها ينتمي للخطاطة الثنائية المعروفة:العرب البرابرة،البدو و الحضر،الشريعة و الأعراف،مع الإشارة للفئات الفرعية المتفاعلة مع المجموعات الكبرى التي تنتمي لها.إلا أن هذه التقسيمات تظل مفرغة من معانيها ،عندما يسعى الباحث لربطها بتلك الصفات و الممارسات التي سماها "بالقاعدة".مثلا في وصفه لطبع البرابرة"يعتز القرويون بأصلهم و بتقاليدهم الخشنة وبطريقة عيشهم،و يعبرون عن نفورهم و ازدرائهم لأهل المدينة الناطقين بالعربية .أولئك الذين حاربوهم لقرون عدة."264لا تصمد هذه القاعدة تماما في وجه توصيف آخر و لنفس الفئة :"يتكلم البرابرة لغة قديمة جدا (الأمازيغية).لكنهم ينطقون اللغتين معا(العربية و الأمازيغية) ، بمجرد اقترابهم من الأسواق و من وسائل النقل، حين تستدعي الضرورة النزول إلى المدينة،والتعامل مع الحضارة العربية ."265

ربما المسألة الأكثر استغرابا في القاعدة، كونها قد تصبح في بعض جوانبها، عائقا كبيرا أمام تحقيق التواصل بين الفرنسيين والمغاربة، خاصة، في إشارته لعدم ارتياد المغاربة للمقاهي سواء الأوربية أو المغربية.لأن ذلك يعتبر في نظر المغربي المهذب، من الأمور التي ينبغي تجنبها.و هذا يعني أنها" موانع تضايق العلاقات التي نتمنى إقامتها مع المسلمين".266

كل ذلك يجري في إطار رسم صورة المغرب التراثي القديم، أسير التخلف و الجمود،و الغارق في نوع من القدرية الطاغية التي تحيل كل تصرفاته و سلوكياته و علاقاته إلى مجرد حركات آلية و بدون معنى ،لأنها تفتقد للعقلانية التي يتسلح بها الباحث الأوروبي .

ولعل التركيز على القاعدة باعتبارها قيم لصيقة بالمغاربة بشكل ثابت و دائم ،تخفي وراءها إستراتيجية لبناء نمطية سلوكية يتم التحكم من خلالها في حركة التطور الاجتماعي و الثقافي و السياسي للمغاربة ،بكيفية محكمة و ناجحة.على الرغم من إثبات الدراسات السوسيولوجية كون التنوع و العفوية و التضارب و البراجماتية المميزة لهذه السلوكيات ،لا ينجم عنها التزام أخلاقي صارم ،و إنما هي تعبير عن الرغبة الأكيدة في التأقلم و التكيف بصورة أفضل مع البيئة الاجتماعية .

خاتمة:

يبدو الخطاب السوسيولوجي المتبنى من طرف الباحثين ،على الأقل ،في جانبه المتقدم ،محاولة لطرح التساؤل حول أحجية الهوية ، انطلاقا من رؤية المركز .و بالتالي العمل على فهم و إدراك المجتمع المحتل من زاوية العلم الاجتماعي المنتشر و المتداول في الميتربول.و لذا ،حاول شارل لوكور تجاوز الأطروحات السوسيولوجية المستهلكة من طرف دوائر البحث العلمي الرسمية (السيبا و المخزن ،العرف و الشرع ، المدينة و القبيلة ...)كما أبدى امتعاضه من المقاربة الماركسية المرتكزة على مبدأ الصراع الطبقي ،و في نفس الآن ،لم يدعم المقاربة الإثنوغرافية،القائمة على مفهوم "البدائية"و "التخلف الحضاري " .أما بخصوص تميزه المثير للانتباه ،هو قدرته على الخروج من المفارقات الواضحة بين وضعيته كباحث سوسيولوجي ،ووضعيته كموظف رسمي في خدمة السلطات الاستعمارية .لقد كان تركيزه على مفهوم "الموضوعية" بمثابة ملاذ آمن ،استطاع من خلاله توفير قدر نسبي من الاستقلالية تجاه انشغالاته الفكرية .خاصة ،عندما يعلن انه "جاء إلى المغرب من أجل دراسة المجتمع دراسة علمية لا تتأسس على قناعة مذهبية أو تحيز إيديولوجي أو عسكري . و بهذا الموقف ،شكل استثناء ضمن الإنتاج المعرفي الكولونيالي في مرحلة الحماية .

أما بالنسبة للوي برونوالمرتبط أكثر من معاصره بالمؤسسة الاستعمارية الرسمية ، فقد اختار التوجه لمعالجة المسألة الثقافية عبر اشتغاله على مفاهيم القيم و اللغة و العقلية المغربية ؛لكونها مكونات تعكس تعكس شخصية الإنسان المغربي و نموذجه الحضاري . كل هذه الأنشطة جرت في جو من العمى تجاه ما يحدثه الاستعمار من استبداد و تسلط و تحكم في ثروات و رقاب الأهالي المحتلين . لقد كان الهم الأساسي بالنسبة لبرونو ،هو الكشف عن قدرة التقاليد غير المكتوبة في تحديد مجموع السلوكيات

264 Louis Brunot :Ibid P.27
265 Louis Brunot :ibid P.27
266 Louis Brunot :ibid P.28

Doi : https://doi.org/10.63585/JQYZ7139
Volume 2 Issue 10
N:12 Octobre 2026
ISSN : 3119-6411

الخاصة بالتعامل اليومي و التفاعل المكثف بين المغاربة .و هي قدرة في نظره قد تعوض في بعض الحالات غياب قوة القانون المكتوب .و ذلك ،جريا على المنطق المعروف للاستعمار الفرنسي و ما أنجزه "المكتب العربي"من دراسات حول منطقة القبايل بالجزائر .

إن ما يمكن استخلاصه من هذه المفارقة الخاصة بالحقل الثقافي للباحثين الاستعماريين ،يؤكد أن المعرفة السوسيولوجية خلال مرحلة الحماية الفرنسية ،ظلت متورطة في عملية التبرير المنهجي للسردية الاستعمارية بكل أشكالها، حتى في حالة ادعاءها ،بالوقوف بجانب حق الشعوب في تقرير مصيرها .و هو ما يبدو جليا ، على مستوى الاستراتيجية المعرفية المتعددة و المتنقلة بين السوسيولوجيا و الاثنوجرافية و الأنثروبولوجيا ،ليس من أجل التعبير عن تكامل هذه العلوم ،و لكن من أجل تسخيرها في عملية التبرير الممنهج. و هكذا ،يعمل لوكور على انتقاد الوجود الاستعماري بالمغرب من جهة ، و من جهة أخرى يشيد بالإصلاحات الاقتصادية و السياسية و العمرانية التي حققها الاستعمار الفرنسي بالمغرب .أما برونو فلا يخفي امتعاضه من التخلف القيمي و الثقافي للمغاربة ،و لكنه في نفس الوقت ، يسعى للرفع من أهمية هذه القيم التي يمكنها أن تعوض غياب القانون المكتوب .

في الأخير ،يبدو ان المنفلت في التصورات و التوصيفات الخاصة بالباحثين ،و المتعلقة بتحليل المعيش اليومي بممارساته الاجتماعية المختلفة لدى المغاربة ،لا يختزل في الطقوس و الشعائر و لا في القاعدة ذات المصدر المجهول ؛و إنما في قدرة الناس على اختراع اليومي بكل ما يتطلبه من فنون الفعل مثل التسامح ،و المراوغة، و التنازل، والاعتراف المتبادل، و المقاومة، و الاحتجاج ،و التضامن و استعمال اللغة، و اختيار المعايير ...الخ .لذا ،التعرض للممارسات اليومية لا يبدو سهلا للغاية ؛لأنه ينتمي إلى حقل واسع جدا ،و من الصعب تحديده بشكل مؤقت ، باعتباره إجراءات تتكون من مخططات عملية و معالجات تقنية .أي أنها ليست في النهاية ثابتة، و مستمرة، و دائمة ،بل تخضع في مسارها لقدرة التفاوض و الإقناع و التناغم الذي يحكم استجابتها للتطلعات و الحاجيات و المنافع الفردية و الجماعية.

المجلة الدولية للعلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية

REVUE INTERNATIONALE DES SCIENCES JURIDIQUES, ÉCONOMIQUES ET SOCIALES

INTERNATIONAL JOURNAL OF LEGAL, ECONOMIC AND SOCIAL SCIENCES

VOLUME 2 | ISSUE 10 | OCTOBRE 2026 | NUMBER 12

http://www.doi.org/10.63585/KIOL1453 | ISSN: 3119-6411

العلوم القانونية
Sciences Juridiques
Legal Sciences

العلوم الاقتصادية
Sciences Économiques
Economic Sciences

العلوم الاجتماعية
Sciences Sociales
Social Sciences

OPEN ACCESS | PEER REVIEWED JOURNAL | INTERNATIONAL SCIENTIFIC JOURNAL | QUALITY & IMPACT

Official email:
ijLessJournal@gmail.com

Official website:
www.ijlessjournal.com

Doi : http://www.doi.org/10.63585/KIOL1453
Volume 2 Issue 10
N:12 Octobre 2026
ISSN : 3119-6411

مدير المجلة

أ.د : **مصطفى الفوركي** : أستاذ زائر بكليات الحقوق في المغرب

Email : ijlessjournal@gmail.com / Tel : 00212687407665

مدير التحرير

ذ . **محمد أفقير** : متخصص في القانون المالي و الضريبي جامعة الحسن الأول بسطات

هيئة التحرير للمجلة الدولية للعلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية

- أد : أحمد العلالي: عميد كلية العلوم القانونية والاقتصادية و الاجتماعية - طنجة- المغرب
-أد : رشيد الطاهر: أستاذ التعليم العالي بكلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية بسطات- المغرب
- أد: عبد الكريم عباد : أستاذ التعليم العالي بكلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية بسطات- المغرب
-أد: حسن الرحيية : أستاذ التعليم العالي بكلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية بفاس- المغرب
-أدة : نادية النحلي : أستاذة التعليم العالي بكلية الشريعة بفاس - المغرب
-أدة : زينب الفاسي الفهري : أستاذة التعليم العالي بكلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية بفاس - المغرب
- أد : عالي طوير: أستاذ التعليم العالي مؤهل بكلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية السويسي - المغرب
-أد : سعد بهتي: أستاذ التعليم العالي مؤهل بجامعة ابن زهر اكادير- المغرب
-أد : يونس الأزرق الحسوني: أستاذ التعليم العالي مؤهل بجامعة الحسن الأول بسطات- المغرب
-أ د: دينا إسماعيل أبو زيد : أستاذ مشارك في القانون المدني، قسم القانون الخاص كلية الحقوق، جامعة الملك عبد العزيز- السعودية
-أدة : أمال ناجي: أستاذة التعليم العالي مؤهلة بجامعة محمد الأول بوجدة- المغرب
-أدة :ناهض حنان أستاذة باحثة في فانون الأعمال جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء – المغرب
-د : محمد الحبيب بداغ: أستاذ التعليم العالي مؤهل بجامعة القاضي عياض – المغرب
-دة :مريم خراج : أستاذة التعليم العالي مؤهلة بجامعة محمد بن عبد الله – المغرب
- دة : نهله أحمد فوزى استاذ القانون المدني المساعد بكلية إدارة الاعمال قسم القانون جامعة الحدود الشمالية- المملكة العربية السعودية
- د : أسماء مصطفى عبد القادر غنيمات : أستاذة بكلية الحقوق جامعة البلقاء التطبيقية - المملكة الاردنية الهاشمية
- أد : هشام البخفاوي : أستاذ التعليم العالي بكلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية جامعة ابن زهر اكادير- المغرب
- د : محمد محمد عبد اللطيف : أستاذ القانون العام كلية الحقوق جامعة المنصورة مصر
- أد : عمر عبد الله عمر أمبارك : أستاذ مشارك بجامعة سرت – ليبيا
- د : باسل علي عباس: استاذ القانون باللغة الانجليزية - جامعة القادسية – العراق
- دة : ولاء خليل حسين قديمات : أستاذة العلوم السياسية/جامعة الخليل – فلسطين
- أد : منى كامل تركي : أستاذ القانون بكليات الحقوق - بالإمارات العربية المتحدة
- أدة : حنان الانصاري : أستاذة التدبير بجامعة القاضي عياض مراكش – المغرب
- أد : محمد خلوقي : أستاذ التعليم العالي بكلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية بسطات – المغرب
- أد : علي بن خلفان بن علي الهنائي : أستاذ القانون الجنائي المشارك ورئيس قسم علوم الشرطة بكلية الشرطة بأكاديمية السلطان قابوس - سلطنة عمان
- أد : شعبان محمود محمد الهوارى : أستاذ القانون الجنائي المشارك كلية القانون – جامعة خليج السدرة – ليبيا
- د : نعمان عطا الله الهيتي : أستاذ القانون بكلية القانون جامعة الشارقة - الامارات العربية المتحدة
- أد : فيصل كرمات : أستاذ التعليم العالي بجامعة المولى اسماعيل - مكناس – المغرب
- أد : عبد الواحد الدافي : أستاذ التعليم العالي بجامعة شعيب الدكالي - الجديدة – المغرب

المجلة الدولية للعلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية

IJLESS JOURNAL

تصدر عن المركز الدولي للدراسات القانونية والإقتصادية والاجتماعية

الفهرسة والمنصات العلمية

Google Scholar
البحث العلمي والاستشهادات

Index Copernicus International
فهرسة المجلات العلمية

IP Indexing
قاعدة بيانات المجلات

ESJIndex
فهرسة الدوريات العلمية

ScienceOpen
عرض الأبحاث واكتشافها

Root Indexing
فهرسة المجلات الأكاديمية

IMIST
المعهد المغربي للإعلام العلمي والتقني.

ResearchBib
دليل المجلات والموارد البحثية

المعرفات الرقمية والإتاحة

ORCID
المعرّف الرقمي للباحث

Crossref • DOI
المعرف الرقمي للمقالات

Scribd
إتاحة المحتوى العلمي

ISSN: 3119-6411
الرقم الدولي المعياري للدورية

مجلة علمية محكّمة

www.ijlessjournal.com